٤

الوحدة الرابعة

حق الحرية

أخي الطالب / أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – معرفة مفهوم الحرية ، وحدودها وضوابطها.

٢ – فهم الأسس التي يقررها الإسلام في وضع حدود الحرية الشخصية.

٣ – الإلمام بأهم أنواع الحريات في الإسلام.

مفهوم الحرية

❁ أولاً: مفهوم الحرية.

تدور دلالات الحرية في اللغة العربية حول معاني الخلوص من العوارض المشينة التي تعكر طبيعة الشيء الذي تخالطه؛ ولذا جاء في معناها: «الخلوص من الشوائب، أو الرق، أو اللؤم»[1].

ويقصد بالحرية في المفهوم الشرعي:

جواز تصرف الإنسان بشؤونه الخاصة، بما لا يخالف الأحكام الشرعية والسياسات المرعية.

❁ ثانياً: ما يميز الحرية في الإسلام عن غيرها.

إن الفرق الأساسي الذي يميز الحرية في النظام الإسلامي عن الحرية في النظام الوضعي هو أن الحرية في الإسلام تقوم على اعتبار الدين، بينما تلغي الحرية المعاصرة أي اعتبار للدين، فالليبرالية والاشتراكية تشتركان في أن المرجعية التي تستقيان منها قيود الحرية هي مرجعية عقلية لا تعترف بالدين مصدرًا للمعرفة، وهذا هو الفرق الأساسي بين هذه الرؤى، وكل الفروق الأخرى تبع لهذا الفرق، فالنظام الوضعي لا يلقي للدين بالاً، فلا يرى ضرراً في اعتناق الشخص لأي دين، أو تركه له، أو نشره ما يناقضه، بينما يرى المسلم أن الدين هو أهم شيء في الحياة، وهو غاية الوجود، ويرى أن الضرر الذي يحل بالدين هو أعظم ضرر.

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/ ١٤٤).

السؤال بالضبط:
الاشتراكية المرجعية من؟
أ. العقل

إن النظام الوضعي مثلا يُجَرِّم الشخص حين يشتم أحداً من الناس ؛ لأنه يضره، لكن هذا الشخص لو تطاول على الله تعالى، أو شتم الرسول ﷺ فإنه لا يُجَرَّم في هذا النظام ؛ لأنه في نظره لم يعتد على أحد، ولا أحدث ضرراً، بينما يرى المسلم الضرر الواقع عليه من سب الذات الإلهية، أو من شتم الرسول ﷺ أشد من شتمه هو، أو شتم والديه.

***

ضوابط الحرية في الإسلام

إذا اتضح الفارق في الحرية بين المفهوم الإسلامي وغيره، تبين لنا أن الحرية في الإسلام خاضعة لحكم الشريعة، والتي وضعت قواعد مهمة لضبط هذه الحرية، من أهمها ما يلي :

۞ أولاً : الأصل الإباحة.

حين نستقرئ أحكام الشريعة نجد أنها تدور حول خمسة أحكام تكليفية هي : (الوجوب، والحرمة، والاستحباب، والكراهة، والإباحة)، والإباحة تعني أن للمكلف حرية الاختيار بين الفعل والترك، ومن رحمة الله أن الإباحة هي الدائرة الأوسع في الشريعة[1] ؛ ولهذا فالمحرمات مفصلة في الشريعة، أما المباحات فليست مفصلة ؛ لأنها هي الأصل، ولا يمكن حصرها، ولا ذكر تفصيلاتها، فما لم يحرَّم في الشريعة فهو مباح، كما قال تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ ﴾ (الأنعام : ١١٩).

---

(١) ينظر : مجلة البحوث الإسلامية (٦٢/٢٠٤).

وعن ابن عباس، قال: (كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء، ويتركون أشياء تقذراً، فبعث الله ﷻ نبيه ﷺ، وأنزل كتابه، وأحل حلاله، وحرّم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفْو، وتلا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ إلى آخر الآية. (الأنعام: ١٤٥)[١].

ومن هنا أخذ الفقهاء القاعدة الشهيرة «**الأصل في الأشياء الإباحة**»[٢] مستندين إلى أدلة منها – أيضاً – قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ٢٩)، فالمطعومات المحرمة شرعاً محددة، وما عداها فهو مباح، والألبسة المحرمة محددة، وما عداها فهو مباح، وقل مثل ذلك في بقية الأبواب، فلا يمكن حصر المباح؛ لكثرته وسعته، وإنما الذي يمكن حصره هو المحرم لضيقه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لست أعلم خلاف أحد من العلماء السابقين في أن ما لم يجئ دليل بتحريمه فهو مطلق غير محجور»[٣].

فدائرة الإباحة هي دائرة الحرية في الشريعة الإسلامية، فلا يجوز حرمان الإنسان من حقه في التمتع بها، فرؤية الإسلام أن الإنسان يولد حراً، ويجب أن يبقى كذلك ولا يخضع لغير الأحكام الشرعية، وبهذه النظرة أطلق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمته الشهيرة «**مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو دود، كتاب الأطعمة، باب: ما لم يذكر تحريمه، رقم الحديث: (٣٨٠٢)، وصححه الألباني.

(٢) الأشباه والنظائر، للسيوطي (٦٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢١/٥٣٨).

(٤) كنز العمال، للمتقي الهندي، رقم الحديث: (٣٦٠١٠).

۞ ثانياً: تكليف الإنسان بالإيجاب أو التحريم قيد على الحرية وهو لمصلحته في العاجل والآجل.

حين تلزم الشريعة الإنسان بالأمر أو النهي، فيكون الأمر حينها خارجاً عن الحرية، حرصاً على مصلحة الإنسان نفسه، فالواجبات تلزم الشخص بالفعل؛ لأنه يحقق مصلحة الإنسان في دينه أو دنياه، والمحرمات تمنع الشخص من فعلٍ يضره في دينه أو دنياه، فالناس متفاوتون في إدراك الأفعال المُصلحة والأفعال المُفسدة؛ فلو تُرك قصيروا النظر يتصرفون وفق ما تميله عليهم إرادتهم لهلك الناس جميعاً ووقع الظلم على العقلاء الراشدين، ولذلك يقول النبي ﷺ: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا[1] على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم[2] نجوا، ونجوا جميعاً)[3]، يقول ابن حجر رحمه الله: «وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها»[4] فليس كل قاصد للخير يوفق لسلوك طريقه.

فمن حق الإنسان في الإسلام أن يأكل، ويشرب، ويلبس، ويتنقل، ويتكلم، ويفرح، ما دام ذلك في حدود الإباحة، وهي دائرة واسعة جداً؛ **فإذا وصل الأمر إلى حدود الواجبات والمحرمات، فإن مصلحة الإنسان تكون حينئذ في منعه مما يضره، أو**

---

(١) استهموا: أي اقترعوا فأخذ كلٌّ سهمه أي يصيبه. ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/٢٩٥).

(٢) أخذوا على أيديهم: أي منعوهم من فعل ما همّوا به. ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/٢٩٥).

(٣) أخرجه أبو البخاري، كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث: (٢٤٩٣).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٥/٢٩٦).

إلزامه بما ينفعه، وهو خير له من إطلاق حريته فيما يَحرمه من مصالح فعل الواجبات، أو ترك المحرمات.

فمنهج الإسلام في الحرية منهج وسط بين المنهج الذي يوسع في الحريات من دون إلزام بواجبات أو محرمات، فيحقق مصالح الحرية في الإباحة، ويفوّت مصالح الواجب والمحرم، وبين المنهج الذي يوَسّع في المنع والإيجاب، فيحقق مصالح الحرية في الواجب والمحرم، ويَحرِم من مصالحها في المباح.

***

مقترح بحثي دراسي عن: أنواع الحريات في الإسلام

يقترح القيام بنشاط بحثي لدراسة أنواع الحريات في الإسلام.

وذلك وفق المعايير التالية:

١ – تحديد موضوع البحث بدقة.

٢ – يكون البحث بحدود: (٥، ١٠) صفحات.

٣ – يتضمن البحث: أهمية دراسة الموضوع، وبيان المفاهيم لغة واصطلاحا، ووصف النوع وصوره الواقعية، والأدلة عليه من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ووسائل تعزيز النوع، وخاتمة تبين نتيجة الدراسة.

***